الفتوى : مصدرها وأثرها : 1/8/1443هـ

الحمد لله رب العالمين، تنزهَ وتقدَّسَ وتعالى، أحمدُه تعالى وأشكره على نعمه التي تتوالى، وأتوب إليه وأستغفره حالا ومآلا، و أشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له. عظُمَ ربُّنا خَلْقا وأمرا وجَلالا ، وأشهدُ أن محمدا عبدُالله ورسولُه أبان لنا الدين حراما وحلالا ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .. وسلم تسليما كثيرا .. أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، اتقوا الله حق التقوى، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾.

إخوة الإسلام: ثمّت منصبٌ رفيعُ القدر عظيمُ الشرف، تولاه الله بنفسه، وكلَّف به رسولَه صلى الله عليه وسلم، ثم تتابع عليه علماءُ الصحابة والتابعين، ومن تبعهم من أهل العلم الراسخين، نالوا بهذا المنصب شرفَ التوقيع عن رب العالمين؛ قال سبحانه : (وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ). وقال جل في علاه (يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ) إنه منصب الفتوى، وهو: بيانُ الحكم الشرعي لمن سأل عنه..

عباد الله: يجدرُ بنا في زمن الانفتاح التقني الكبير، وفي زمن الفتنة والاختلاف، والبحثِ عن التيسير والرخص والشاذ من الأقوال أن نقف وقفةَ بيانٍ وتوضيح لهذا المنصب الذي أمسى فريسةً لصحفي مغرض، وألعوبةً في يد متعالِمٍ عبرَ قناةٍ فضائية أو تغريدةٍ أو مقطعٍ مرئي أو مسموع. غافلا ذلك الذي يفتي بلا علم أو بمحضِ هوى أن الفتوى توقيعٌ عن رب العالمين، وأن القولَ على الله تعالى بغير علم من أعظم المحرمات؛ لما فيه من جُرأةٍ وافتراءٍ على الله وإغواءٍ وإضلالٍ للناس، قال الله تعالى: (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ). وقال سبحانه: (وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ. مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) ؛ ولذا كان الصحابة رضي الله عنهم يهابون الفتوى ويتدافعونها؛ قال عبد الرحمن بن أبي ليلى رحمه الله: أدركت عشرين ومائة من الأنصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يُسأل أحدُهم عن المسألة فيردَّها هذا إلى هذا، وهذا إلى هذا، حتى ترجعَ إلى الأول..

عباد الله: إن للفتوى شروطا وضوابطَ يجبُ اعتبارُها، وللمفتي صفاتٍ ينبغي تحرِّيها من علمٍ بالكتاب والسنة مع تقوى وورعٍ وقوةِ فهمٍ واستنباط وإدراكٍ للمآلات وإدراك لمقام الفتوى العظيم، قال محمدُ بن سيرين رحمه الله: "إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم"انتهى. وإذا كان المسلم يتحرى لعلاج بدنه أبرعَ الأطباء، وأوثقَهم فكذلك ينبغي أن يتحرى لدينه أوثقَ العلماء، وأعلمَهم، وأشدَّهم خشيةً وورعا. ومن تصدى للفتوى وهو ليس لها بأهل فيجب منعُه؛ قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى: "ويلزم وليَ الأمر منعُهم، كما فعل بنو أمية، وهؤلاء بمنزلة من يدل الركب وليس له علم بالطريق، وبمنزلة الأعمى الذي يرشد الناس إلى القبلة،وبمنزلة من لا معرفة له بالطب وهو يُطب الناس، بل هو أسوأ حالاً من هؤلاء كلِّهم، وإذا تعين على ولي الأمر منعُ من لم يحسن التطببَ من مداواة المرضى؛ فكيف بمن لم يعرفُ الكتابَ والسنة ولم يتفقه في الدين؟" أ.هـ ودمعتْ عينُ ربيعةَ مرةً فسأله رجلٌ عنها قائلاً: أَدَخَلَتْ عليك مصيبة؟ قال: لا، ولكن استُفتِيَ من لا علم له، وظهر في الإسلام أمرٌ عظيم، وبعض من يفتي ههنا أحق بالسجن من السُّرَّاق . وقد قيل : (الحَجْرُ لاستصلاح الأديان أوْلى من الحَجْر لاستصلاح الأموال والأبدان).

ولقد كان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله شديد الإنكار على المفتين غيرِ المؤهلين للفتوى حتى قال له بعضُهم : "أجُعلِتَ محتسباً على الفتوى ؟ فرد عليه: يكون على الخبازين والطباخين محتسبٌ، ولا يكون على الفتوى محتسب ؟" .

عباد الله: أوَيُتساهل بعد هذا بأمر الفتوى التي ربَّما تصدى لها عامّيٌّ متكئٌ على أريكته في استراحاته بانياً جوابه على عقل ومنطق وتوقّع، أو استقاها من الشبكة العنكوتية بعد بحث في قوقل أظهر له من فتاوى الشيعة، أو الفتاوى الخاصة لأحوالٍ معينة ما لا يصح تعميمه على كل حال؛ قال عثمانُ بنُ عاصمٍ: "إنّ أحدَهم ليُفْتي في المسألةِ، ولو وَرَدَتْ على عمرَ بنِ الخطَّاب رضي الله عنه لجَمَع لها أهلَ بدرٍ"؛ فحريّ بالمسلم أن يعرف للفتوى مقامَها وهيبتَها ، وحريٌّ بالمسئول أن يقف في وجه كلِّ متعالمٍ يُفتي بغير علم بحزمٍ وقوة، حتى لا يضطربَ العامةُ، ولا يُظنَّ بالعلماء الربانيين السوءَ، وقد قيل: العـلم نقطةٌ كثَّرها الجاهلون .. نعوذ بالله من الجهل والضلال وسيء الأحوال .. أقول ما تسمعون ..

الثانية :

الحمد لله رب العالمين ..

إخوة الإسلام : إن خطر الفتوى بغير علم يتعدى الأبدانَ إلى أمن الأوطان، فهو بريدُ الشقاق والفوضى واستسهال الأفكار الضالة وتكفيرِ المسلمين وترويعِ الآمنين واستباحةِ الدماء المعصومة.. وفتوى الجاهل أو المتعالم تفتح أبوابَ السوء فكم من هالك بسبب فتوى يقودها هوىً أو تزلُّفٌ أو نحوُ ذلك .

عباد الله: ومن بحث عن فتوى فلا يتتبعْ ببحثه رُخصَ العلماء، ولا يعدد السؤال ليجد الأيسر له الذي يوافق هواه؛ لإن حدودَ الله لا تستباح بزلة عالم ولا فتوى متعالم، ومن تتبعَ الرخصَ فسق بإجماع العلماء وتحللَ من ربقةِ التكليف، ومن أخذ برخصة كلِّ عالم اجتمع فيه الشرُّ كله، والبرُّ ما سكنَتْ إليه النفسُ واطمئنَّ إليه القلب. والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك. فاستبرئ لدينك باتباع العلماء الثقات الربانيين ، وإياك وتتبعَ العلماء المتساهلين الذين يسلكون مبدأ التيسير ولا يسيرون على الدليل من الكتاب والسنة .. فإن ذلك أسلمُ لك عند ربك جل وعلا ..

هذا وصلوا وسلموا ..